



-الشخصية التاريخية عند المستشرقين-الأمير عبد القادر أنموذجا-

The Historical Personality in Orientalism –
Emir Abdelkader as an Example

ميم نسرین لطيفة (*)

جامعة امحمد بوقرة – بومرداس ،الجزائر

n.mime@univ-boumerdes.dz

تاريخ النشر: 2025/06/29

تاريخ القبول: 2025/05/24

تاريخ الإيداع: 2025/04/13

الملخص:

ساهم الاستشراق في تكوين صورة مختلفة عن الدراسات الإسلامية، ومن غير المستبعد أن يكون هدف المستشرقون من خلال دراسة التاريخ الإسلامي بصفة عامة، والتاريخ الجزائري بصفة خاصة، التعرف على حقيقة هذا التاريخ وفهم الشخصية الجزائرية ومدى ارتباط الجزائريين المسلمين بتاريخهم ومن تم يسهل التعرف على مواطن القوة والضعف للتسلسل إلى عمق الدراسات الإسلامية.

(*) المؤلف المرسل: ميم نسرین لطيفة: n.mime@univ-boumerdes.dz



ركز الاستشراق على دراسة الشخصيات العربية الإسلامية عبر التاريخ للتعرف على الأقطاب الذين أرسوا دعائم الدولة الإسلامية، فكان اهتمامهم منصباً على دراسة شخصيات عربية معينة لها أثرها في صناعة التاريخ الإسلامي كشخصية: صلاح الدين الأيوبي بطل الحروب الصليبية وأقوى شخصية في الشرق العربي والأمير عبد القادر أقوى شخصية إسلامية في الغرب العربي.

الكلمات الدالة:

الاستشراق؛ الشخصية التاريخية؛ الأمير عبد القادر؛ الدراسات الإسلامية؛ المستشرقون

Abstract:

Orientalism contributed to forming a lucid and dissimilar picture of Islamic studies. It is, therefore, likely that orientalist who studied Islamic history in general and Algerian history in particular aimed mainly at recognizing the reality of such a history and understanding the Algerian personality in addition to the extent to which Muslim Algerians are connected to their history. That represents the straightforward way to identify the strengths and the weaknesses which helps penetrating in the depth of Islamic studies.

The focus of orientalism was put on studying Arab Islamic figures throughout history in order to identify the poles who laid the foundations of the Islamic state. In effect, orientalist were interested in studying certain Arab icons that had an impact on building the Islamic history for instance; Salahuddin Al Ayyubi, the hero of the Crusades and the strongest figure in the Arab East (The Middle East) and Prince Abdul Qadir, the strongest Islamic figure In the Arab West (The Maghreb).

Key Words:

Orientalism; the historical figure; Prince Abdul Qadir; Islamic studies; orientalist.

1. مقدمة:

كان التاريخ ولازال يحتل أهمية خاصة من تكوين الشخصية العربية الإسلامية، فهو بما يحتوي من مظهر الوحدة والتنوع يؤكد على ترابط واستمرار الأمة العربية ، وتعد الحركة الاستشراقية من بين الحركات التي اهتمت بدراسة هذا التاريخ ونالت الدراسات التاريخية الإسلامية عناية فائقة من طرف المستشرقين . ارتبطت الدراسات الأدبية بالتاريخ الذي مر بجملة من الأحوال والأحداث المختلفة، خلف وراءه العديد من الشخصيات التاريخية التي بقيت بصماتها راسخة في كتابات أدبائنا وعالقة في زوايا أذهاننا، كانت الاهتمامات الاستشراقية تدور حول شخصيات عربية كان لها أثر في صناعة التاريخ الإسلامي فاهتموا بدراسة شخصية الناصر صلاح الدين الأيوبي بطل الحروب الصليبية والأمير عبد القادر



الجزائري مؤسس الدولة الجزائرية، هذه الشخصية التاريخية الجزائرية التي كان لها أثر كبير في التاريخ الجزائري .

كانت للدراسات الاستشراقية ارتباط وثيق الصلة بالسياسات الاستعمارية وكانت الجزائر على رأس البلدان العربية التي عانت ويلات الاحتلال الفرنسي دافع عن هذه الأرض الطيبة، العديد من الشخصيات التي خلدها التاريخ وكان عبد القادر الجزائري يقف على رأسها بحيث يرجع إليه الفضل في إرسال قواعد جديدة لدولة جزائرية حديثة، ولعله السبب الذي أدى بالكثير من المستشرقين على تعدد مشاربهم إلى الاهتمام بهذه الشخصية العربية الفذة، التي وصل صداها إلى العالم ككل من رصيد الأمير الديني، والفكري والأدبي والفلسفي والصوفي.

نالت الدراسات التاريخية الإسلامية عناية فائقة من الباحثين المهتمين بهذا المجال، والحركة الإستشراقية، كانت ضمن التيارات المهمة بمختلف التطورات التي مرّ بها التاريخ الإسلامي، تمخضت عنها بحوث ودراسات حول الشرق في جوانبه المتعددة، فتحت المجال للتعرف على شخصيات تاريخية، بقيت بصماتها راسخة عبر هذا التاريخ إن الشخصيات التاريخية هم مجموعة من الأفراد الذي كان لهم أثر في جملة الأحداث التي يمر المجتمع يمكن تشبيههم النبتة التي يتكامل نموها فيكون لها جذع رئيسي، يتشعب منه جميع الفروع المتباينة وتظهر لنا في ارتباط الماضي والحاضر والمستقبل، أثبتت نفسها في الميدان ولا ترضخ لأي نوع من الضغوط¹. ظهرت العديد من الشخصيات التاريخية التي أثبتت نفسها، والتي نالت عناية الدارسين والباحثين عامة والمستشرقين بصفة خاصة، من أهم هذه الشخصيات "صلاح الدين الأيوبي" بطل الحروب الصليبية، أقوى شخصية تاريخية في الشرق، و"الأمير عبد القادر الجزائري" أبرز شخصية في الغرب وغيرهم من الشخصيات.

والاستشراق أو علم الشرق، يهتم ، بكل ما يخص الدراسات العربية الإسلامية آدابا وتاريخا، وعلوما، وعادات وتقاليده... وغيرها من العلوم قبل أن يدرس المستشرقين شخصية الأمير، تطرقوا إلى شخصيته لا تقل شهرة عنه، مدحها ومجّدها أعداؤها وهو صلاح الدين الأيوبي بطل الحروب الصليبية وقد كان الشعراء الجوالون الغربيون يتغنون بخصاله، ويصفونه بالفارس، إلا أنه كان يقف عند حدود التي يسمح بها تقرير العدو الشجاع².

يعد "صلاح الدين" أقوى شخصية في الشرق الإسلامي قضى على الدول الفاطمية في دمشق 1171م واخضع سوريا 1174م وعقد هدنة مع ملك القدس إلا أن "رينودي شاتيون" والذي كان يطلق عليه المسلمون لقب "أرناط " أمير حصن "الكرك" نقض الهدنة التي كانت



بينه وبين المسلمين أثارت غضب "صلاح الدين" الذي حارب الصليبيين في "طبرية" و"حطين" وفتح القدس صلحا عام 1187م وهدم أماكن العبادة الصليبية. اهتم بهذه الشخصية الكثير من المستشرقين أهمهم "كلود كاهين" «Cohen Clo» المستشرق الفرنسي في رسالة سلاح كتبت لصلاح الدين الأيوبي، حب هاملتون المستشرق الإنجليزي، المصادر العربية لسيرة صلاح الدين والجيوش ديفونشير المستشرقة الألمانية "في محراب صلاح الدين"، هذه أهم الدراسات الاستشراقية التي ترجمت لسيرة صلاح الدين الأيوبي تتضمن عناية هذه الفئة بهذه الشخصية التاريخية وهي مستقاة من كتاب "المستشرقين لكتابه نجيب العقيلي في أجزائه الثلاث.

إلى جانب هذه الشخصية اهتم المستشرقون بشخصية تاريخية أخرى المتمثلة في شخصية "الأمير عبد القادر الجزائري" من بين الشخصيات التي بقيت بصمتها راسخة في أذهاننا، فقد ظل الأمير على عقيدته الراسخة وهي إن بقاء الفرنسيين في الجزائر، رغم انتصاراتهم عليه إنما هو بقاء السحابة الصيفية، وكان يرفض الاعتراف بالسيادة الفرنسية رفضا قاطعا وفي رسالة كتبها إلى بوجو Bugeaud سنة 1841م يقول فيها "إن فرنسا ستمضي وستراجع ولكنها بدورها ستضطر إلى التراجع وعندئذ سنعود"³. وكان هذا الرمز التاريخي تنبأ للجزائر بحريتها، هذا هو الأمير عبد القادر الشخصية التاريخية التي اهتم بها الكثير من المستشرقين يقول الجنرال ديفيفي Devivier: "كان عبد القادر أميرا لأن الحرية أعهدت بسيفها إنه شخصية تاريخية، فالتاريخ لن ينساه وسيدكر اسمه أبد الدهر مرارا وتكرارا"⁴.

اهتم الكثير من الباحثين العرب والأوروبيين بمؤلفات "الأمير عبد القادر" أهمها الدراسات التي تناولت مذكراته، وفي تصدير للباحث الجزائري "أبو القاسم سعد الله" لمذكرات الأمير قال إنه قد كتب وأملى حياته على عدد من المؤلفين الأوروبيين والمسلمين وأضاف قوله: "يخيل إلينا أن الأمير قد كتب قبل خروجه من الجزائر أنموذجا من حياته الشخصية وهو في السجن وهو في المشرق يريد أصحابها معرفة تكوينه وأسرتة وبيئته، والمؤثرات التي أثرت فيه وعقائده وحروبه وخصومه وأصدقائه وآراءه في الناس والحياة والعرب والأوروبيين وفي الإسلام والمسيحية، ونحو ذلك من الأسئلة التي كان يطره بها كل سائل".

فكتب هو أنموذجا من حياته بإختصار وذكر الباحث أبو القاسم سعد الله أنه كان يسلم نسخة لكل سائل أو يتحدث عنها بإيجاز، وقد يكون هذا النموذج والسيرة قد كتبت بقلمه وبإملائه لكتبه أو أصحابه، ومنهم "مصطفى بن تهامي" "وقدور بن رويلة" المتوفى 1855م والذي اصطفاه الأمير عبد القادر لنفسه ومنحه وظيفة الشورى، وكتابة الإمارة وكان كاتبه الملازم له



كتاب في "علم الكلام" من دروس الأمير عبد القادر، وله كتاب "وشاح الكتائب ورتبة الجيش المحمدي الغالب" طبع في باريس ونشر في المجلة الإفريقية بعناية بعض المستشرقين. والمهم من كتابة السيرة الذاتية هو موافقة الأمير على كتابتها، فكانت تحت نظره ويبدو أنها كتبت لأول مرة عندما تردد عدد من المثقفين والمستشرقين طمعا في معرفة نوازع الأمير ومواقفه إزاء الحرية والأديان والإنسان والفلسفة ونحو ذلك من اهتمامات هذه الفئة⁵. وقد لعب الاستشراق دورا هاما في الدراسات العربية الإسلامية إبان الاحتلال الأوروبي للجزائر واستطاع الإستعمار أن يجند طائفة كبيرة من المستشرقين لخدمة أغراضه وأهدافه، أقحم بعض المستشرقين كمستشارين لبلادهم، و قناصل تجسسوا على المسلمين لأن معرفتهم بالأجناس الشرقية هي التي تجعل حكمهم سهلا ومجديا إذ أن المعرفة محور القوة والمزيد القوة يتطلب المزيد من المعرفة.

وقد اهتم الكثير من المستشرقين بشخصية الأمير و السيرة الذاتية بنى عليها عدد من الكتاب مخططاتهم في ترجمتهم للأمير، من هؤلاء "الإسكندر بلمار" في الحياة السياسية للأمير عبد القادر و"شارلز هنري تشرشل" في حياة عبد القادر السلطان السابق لعرب الجزائر. ذكر الباحث " أبو القاسم سعد الله" أنه مهما كان الهدف السياسي لتشرشل من كتابة سيرة شخصية للأمير فإن عمله الذي جاء نتيجة تعارف وصداقة بينه بين الأمير دامت حوالي عشرة سنوات، تعتبر أفضل ما كتب عن الأمير حتى الآن وساهم مساهمة ثمرة في التعريف بالجوانب الوطنية والعربية والإنسانية للأمير عبد القادر، ومساهمة في ربط الحاضر بالماضي لأن الأمير مهما قيل عنه لم يكن مجرد بطل للمقاومة، ولكنه أيضا كان رمز للحضارة العربية الإسلامية .

يعد كتاب حياة الأمير عبد القادر لتشرشل مادة تاريخية تضم حياة الأمير جسدها المؤرخ تشرشل في حوالي أربعة وعشرون فصلا، اعتمد عليها العديد من الباحثين الذين تطرقوا لشخصية الأمير عبد القادر الجزائري. تناول المستشرقون شخصيات عربية وإسلامية بالدراسة والتمحيص والأمير عبد القادر من بين الشخصيات التاريخية الجزائرية التي نالت عناية من الاستشراق الفرنسي والألماني، وظهر ذلك في مجال تأليف الكتب والترجمة. واهتمام الإستشراق الفرنسي خاصة بشخصية الأمير، تتماشى مع فترة حياته في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر، معظم هؤلاء المستشرقين تطرقوا للحياة السياسية والعسكرية التي مر بها الأمير.

يعد المستشرق الفرنسي " غوستاف دوغا" G. Dugat من أوائل المستشرقين المهتمين بدراسة شخصية الأمير عبد القادر الجزائري، الذي ألف كتابا عن الأمير بعنوان "تنبيه الغافل



وذكرى العاقل" جاء بعده (دوما Dumas) الذي كان في الجيش الفرنسي برتبة كولونيل من الذين طلبوا 1848م المترجمين العسكريين (لورو Loureau وروسو Rousseau) اللذين رافقا الأمير في الباخرة التي أقلته من الغزوات إلى تولون كان أيام معاهدة تافنة وكيلا وقنصلا في عاصمة أم عسكر⁶، ولأنه تعلم اللسان العربي واطلع على أشياء من أحوال أهل الجزائر كتب أسئلة تتعلق بالمرأة والحضارة العربية الإسلامية بعثها الأمير وطلب الإجابة عنها.

هذه العلاقة التي ربطت الأمير عبد القادر مع الجانب الفرنسي في المجال السياسي، توطدت عنها العديد من الدراسات والبحوث وبالإضافة إلى المستشرق "دوغا Dugat" ظهرت طائفة من المستشرقين السياسيين الذين تناولوا شخصية الأمير، وهي مستقاة من كتاب "المستشرقون" لكتابه نجيب العقيلي أمثال أزان Azan الذي ألف كتابا عن الأمير عبد القادر بالفرنسية 1925م، (بيرس Peres) نشر أشعار الأمير عبد القادر بمناسبة خمسون سنة على تأسيس كلية الآداب في الجزائر 1932م وغيرهم. هذه الكتابات الاستشراقية الفرنسية من الضباط والقناصل والمجرمين الفرنسيين الذين اشتغلوا مناصب معينة تدخل في الانطباعات الشخصية والأحداث الشاملة أكثر من كونها أعمالا متكاملة عن حياة الأمير عبد القادر الجزائري.

اهتم المستشرقون الفرنسيون بالجانب السياسي والعسكري للأمير، وهناك دراسات أخرى اهتمت بنشر الجانب الأدبي وفي هذا الصدد نشر "لويس شيخو" المهتم بدراسات المستشرقين أورد نبذة عن حياة الأمير، تناول "لويس شيخو" أشعار الأمير عبد القادر وكان هذا الباحث قد أدرج في كتابه "تاريخ الآداب العربية" المستشرقين وأصحاب المطابع ومشاهير الناشرين، ويأتي بصدد ترجمتهم على ذكر خدماتهم في نشر التراث العربي، وأورد هذا الكاتب بعض الأبيات الشعرية للأمير عبد القادر يقول فيها:

أَمْسَعُودَ جَاءَ السَّعْدُ وَالْخَيْرُ وَالْبَشْرُ

وَوُلِّيَ لِيَالِي ابْنُ حَسَنٍ لَيْسَ لَهَا ذِكْرُ

ومنها قصيدة حماسية يقول فيها⁷ :

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي وي يحتمي جيشي وتحرس أبغالي

هذه بعض الأبيات الشعرية التي أوردها لويس شيخو من نظم الأمير عبد القادر وما قاله الشعراء الذين عاصروه، كما لا ننسى أن الكثير من المستشرقين خاصة الألمان مثل بروكلمان، نولدكه اللذين اهتموا بشخصية الأمير كأديب وشاعر عربي صوفي.



إن الذي يدعم أغراض الشعر عند الأمير عبد القادر ويجعلها نسقا واحدا مقبولا من الناحية الفنية والأخلاقية هما دافعان:

أ- طبيعة الفروسية.

ب- اثر الثقافة الإسلامية.

وهذين الهدفين جعلنا لشعر الأمير طوقا عاما واحدا كالشعر الصوتي أو العذري فهو يتغزل و يفتخر ويمدح ويصف. وقال الباحث محمد خلف الله في موضوعاته أنها لم تكن تعدو بعض النواحي الشخصية، من الأغراض التي قال فيها الأمير الغزل وفي تقريره أنه لا يتكلف الشعور به إذ يقول:⁸

لم أدري شيئا قبل معرفة الهوى حي لكم ما كان قطُ تكلفا

كان للأمير عبد القادر شخصية تاريخية محببة من طرف المشاركة مثلما كانت له مكانته في المغرب، فقد نال احتراما كبيرا من طرف الشرق، وهذه الأبيات الشعرية دلالة واضحة على مكانته. لقد ساهم الاستشراق بصفة عامة بتكوين رقم معرفي حول الدراسات الشرقية، ولم تقتصر هذه الأخيرة التي تناولت شخصية الأمير على جانب الفرنسي، بل كانت هناك دراسة استشراقية تمثلت في الجانب الألماني الذي مثله في الجانب الألماني الذي مثله كارل بروكلماني. ساهم المستشرق الألماني بروكلمان في الكشف عن تاريخ الأدب العربي ، وإن كان هذا المستشرق له بعض الانحرافات فعلى الباحث أن يلتقط الخير من مؤلفاته متبنيا مواطن المغالطات ليكشفها أو يرد عليها لأن الحكمة ضالة المؤمن.

مهما يكن من أمر فإن كارل بروكلمان قدم العديد من الخدمات للأدب العربي من خلال كتابه "ذائع الصيت" تاريخ الشعوب الإسلامية " الذي تناول فيها شخصية الأمير عبد القادر الجزائري. من خلال عنصرين الأول الأمير عبد القادر يعلن الجهاد والعنصر الثاني مصير عبد القادر. يستهل المستشرق "بروكلمان" حديثه عن الأمير عبد القادر الجزائري بقوله : "وفي هذه الأثناء عمت الفوضى مقاطعة وهران فاستغلها مغامر شاب يدعى عبد القادر وكان عبد القادر هذا ابن أحد المرابطين، وكان قد أدى فريضة الحج إلى مكة مرتين ، وإذا كان إلى تقواه بارعا وشجاعا فقد وضعت قبيلتنا هاشم وعامر أنفسهما بعد أن تعبتا من الخصومة المستمرة تحت إمرته على الرغم من حداثة سنه، ... ثم أنه سمي بأمر المؤمنين ودعا إلى الجهاد ضد الفرنسيين فدخل القائد دي ميشال، قائد وهران في مفاوضات معه ولكن خلفه الجنرال "تريزيل" واستخف بقوته وحاول الاستيلاء على الجزء الداخلي للبلاد بقوات هزيلة في 26 تموز 1835م



مني القائد الفرنسي بهزيمة شنعاء عند نهر المقطع ومن ذلك الحين عد عبد القادر في طول إفريقيا الشمالية وعرضها لحامي الإسلام ومتقدمة".⁹

هذا النص يبين صورة شاملة عن الأمير عبد القادر كما قدمها المستشرق الألماني "بروكلمان" وإعلانه الجهاد ضد الفرنسيين ووصفه بحامي الإسلام ومنقذه. وتحدث

المستشرق "بروكلمان" في هذا التعريف عن المعارك التي دارت بين الأمير والجنرال الفرنسي دي ميشال وتريزيريل وكلوزيل وبوجو كما أنه تطرق إلى معاهدة تافنة دون ذكر تفاصيلها ونقض الاحتلال الفرنسي لها فجاء قوله "ولكن ما كانت الحكومة راغبة في أن تغسل أول الأمر العار اللاحق لها في قسنطينة، فقد اضطر "بوجو" إلى أن يعقد مع عبد القادر عند نهر تافنة معاهدة الصلح التي لم تكن في صالح فرنسا على الإطلاق، وذلك بأن عبد القادر لم يسترد بموجبها معسكر فحسب بل مقاطعة وهران برمتها تقريبا وجزءا كبيرا من مقاطعة الجزائر، ومهما يكن من أمر فقد بسط عبد القادر سلطانه بالإضافة إلى ذلك في اتجاه الشرق أيضا بأن قام حاكما على كل من مجانة وزيان ولغواط كذلك تقدم في الصحراء واقتحم في تشرين الثاني سنة 1838م يعد حصاد دام خمسة أشهر عين ماضي وكان صاحبه مرابطا يدعى محمد التجيني".¹⁰

ويضيف قوله وعند احتلال الفرنسيين "بليدة" في تشرين 1939م اعتبر عبد القادر تقدم الفرنسيين هذا نقضا لمعاهدة تافنة فأدى ذلك إلى الجهاد ضد الفرنسيين. ذكر بروكلمان في حديثه عن الأمير أن قاعدته كانت معسكر قصر والد الأمير حيث كان الأمير يلتبس الراحة في كثير من الأحيان وذكر أنه قد أتى على هذا القصر حين من الدهر كان فيه مركزا خطرا من مراكز التعصب الديني.¹¹

وعن مصير عبد القادر تحدث بروكلمان عن احتلال بوجو لمدينة تلمسان واستسلام الأمير في 23 كانون الأول وأسرته في قلعة أمبواز وفك نابليون الثالث له في 2 كانون الأول من سنة 1852م ونزوله في عروسة حتى وقوع الزلزال سنة 1855م وإقامته في مدينة اسطنبول ثم في دمشق. يطرق المستشرق بروكلمان إلى شخصية الأمير في شكلها العام مبرزاً الجوانب السياسية ولم يتطرق على مؤلفات الأمير وإلى حياته الفكرية، فكان تقديمه بشكل معرفي مجرد ترجمة مختصرة وحياته السياسية في جانبها السياسي.

تناول المستشرقون الألمان شخصية الأمير عبد القادر في مختلف جوانب حياته فكتب المستشرق الألماني "يوهان كارل" في كتابه المعنون ثلاث سنوات من حياة ألماني بين العرب والذي ترجمه "أبو العيد دودو" وصف الأمير في الفصل الخامس من كتابه الذي احتوى على



اثني وعشرين فصلاً فمن عمره وهو قصير القامة رشيق الجسم أبيض اللون يرتسم النبل و
الحلم على الملامح وجهه وكانت عيناه ذواتي لون أزرق رمادي لكنهما براقتان ولحيته سوداء
منتظمة وكان صوته عميقاً وبه نعومة ورقة...¹².

كما تحدث هذا المستشرق عن الوضع السياسي والصراع الذي جمع الاحتلال الفرنسي
والعرب والأترك وتمكنه من اللغة العربية والأدب العربي وقراءته لدواوين الشعر العربي
وأسلوب حياته وهي الصفات التي جعلت منه في نظره أميراً عظيماً. ذكر المستشرق الألماني
يوهان كارل بيرت Johann Carl B. أنه دخل إلى تلمسان وكانت له رغبة في تعلم اللغة العربية
قراءةً وكتابةً. وهذا يدل دلالة واضحة على رغبة العديد من المستشرقين في تعلم اللغة العربية
والاهتمام بها. لقد انهر عدد كبير من المستشرقين بشعبية "الأمير عبد القادر" ومن أبرزهم
"غوستاف دوغا" G. Duga الذي سافر في بعثة إلى الجزائر 1845م وكلف بتدريس تاريخ
وجغرافيا الشعوب الإسلامية في مدرسة اللغات الشرقية، وقد كان عضواً في الجمعية
الآسيوية¹³.

عرّف المستشرق "دوغا" أن الأمير عبد القادر في كتابه المترجم تعريفاً مقتصرأً في مقدمة
الكتاب، ويبدو أنه ترجم للأمير على مقربة منه ومعرفة به، وهو الذي تعاون مع دوزي "Dozi"
المستشرق الهولندي و"رايت" "Wrights" على تحقيق ونشر كتاب "نفح الطيب" للمقري، «فألم
بتاريخ وأدب الأندلسيين ومن بينهم الطائفة الأولى للفكر في مدرسة الأمير عبد القادر في
مقدمتهم الشاعر الصوفي "ابن العربي" كما ألف هذا المستشرق كتاب بعنوان "فلاسفة
المسلمين وتاريخ المستشرقين"، غير أن ترجمة "دوغا" لا تعبر عن الحوادث المهمة في حياة الأمير
عبد القادر¹⁴. كان للمستشرقين دور كبير في إحياء روح الترجمة، فعملوا على ترجمة كنوز
الأدب العربي لكبار العلماء الذين أرسوا دعائم التراث العربي الإسلامي. عبّر الأمير عبد القادر
عن الترجمة في حديثه عن تأليف الغير بغير لغته، بأنه أمر بالغ الصعوبة، يقول: «واني لأتعجب
وما يقضي عجي من علماء فرنسا وقدرتهم على هذا»¹⁵. وتقليل الأمر عنده أن مباحث العلوم
إنما هي في المعاني ولا بد لاقتناصها من الألفاظ ومعرفة دلالتها ليس في أصل وحدتها فحسب
بل بالدلالة الخطية أيضاً، وإذا أزيلت عقبة الألفاظ يقول الأمير لم يبق إلا معناه ما في المعاني
من المباحث.

أعجب الأمير بهذه الظاهرة اللغوية في علماء فرنسا غير أنه ذهب مذهب الجاحظ حيث
قال لأعضاء المجمع العلمي الفرنسي: «إن الملكة إذا تقدست في صناعة قل أن يجيد صاحبها



ملكة في صناعة أخرى، إلا أن تكون ملكة العجمة السابقة لم تستحلم كما في الأصافر من أنباء العرب والعجم»¹⁶.

وكان كتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" أبرز نتاج الأمير عبد القادر العلمي والأدبي وفي مجال التدوين، كتبه في ثلاثة أعوام قضاها في "بربروسة" بتركيا قبل انتقاله إلى دمشق، وقد بعث الأمير بالكتاب إلى رئيس الجمعية الآسيوية وكان يريد أن يوصل بواسطته رسالته إلى الفرنسيين لجلب انتباههم حول القضايا الأساسية. والكتاب عبارة عن فكرة فلسفية تقع في مقدمة وثلاث أبواب، يقول الباحث أبو القاسم سعد الله: «أما إنتاجه الآخر فتغلب عليه روح النقل، فكتابه ذكرى العاقل وتنبيه الغافل مليء بالنقل التركي وإحياء علوم الدين للغزالي»¹⁷، حقق هذا الكتاب الباحث الجزائري عمار بوطالب سنة 2005م.

أرسل الأمير نسخة من المخطوط من كتابه إلى رئيس المجمع العلمي الفرنسي، الذي كان يرأسه المستشرق الفرنسي "رينو" "M. Reinaud" عضو المعهد، وهو باحث في الدراسات التاريخية، كتب عن الأمير عبد القادر تقريراً أدرج ضمن مخطوطات المكتبة الملكية¹⁸. وتعرف هذه الترجمة القارئ الفرنسي بالفلسفة العربية والتي يعتقد المستشرق "غوستاف دوغا" أنه كان لا يعرف عنها الشيء الكثير قبل ظهور الحركة الاستشراقية في أوروبا.

ويظهر الاهتمام بالأعمال التاريخية والفلسفية والأدبية والفكرية والعلمية العربية، من طرف المستشرقين، لم تجد من يشتغل بها إلا في الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر من كتاب "أرنست رينان" "Ernest Renan" الذي يقول: «إن الإسلام اضطهد العلم والفلسفة»¹⁹.

يرى "غوستاف دوغا" أن بداية نبوغ الشخصية العلمية والفلسفية للأمير تكشف عنها فترة ما بعد اعتقاله بالأومبواز، حيث جدد الأمير حسب قوله حياته الفكرية والأدبية. وإذا كانت الأحداث التاريخية التي تعاقبت على الأمير تمكنت من نزع بعض الألقاب من سجله الحافل، فإنها في رأيه لم تستطع أن تلغي لقباً واحداً وهو رجل الأدب L'homme de lettres وهو اللقب المحبب إليه. أرسل الأمير الرسالة إلى المجمع العلمي فعرف العالم بأسره إلى أهم القضايا التي طرحها، فالعالم بالنسبة للأمير هو: «ذلك الرجل الذي يسهل علينا التمييز بين الإصابة والخطأ، في الاعتقاد والقيح والجمال في الأفعال»²⁰.

هذه صورة من الصور التي يمثلها الأمير في رسالته الموجهة إلى المجمع العلمي والتي ترجمها "غوستاف دوغا"، وبالرغم من ثناء رئيس الجمعية للأمير وربما اعترافه بقيمة الكتاب، فإن رئيس الجمعية الآسيوية قد فهم أن محتوى الرسالة لا يشمل على الأفكار التي كان ينتظرها من



المؤلف، أي مدح الحضارة الفرنسية بدون أي تحفظ وانضمامه ولو الرمزي إلى الغزو الفرنسي الذي جلب الحضارة والتطور إلى العرب، ولهذا فبعد التهاني وضع الكتاب في المكتبة الوطنية ممنوعاً على عامة الناس ولذلك فلم يترجم حتى سنة 1858م²¹.

إن الأمير لم يفته أن يعرف الفرنسيين الذين لم يكونوا على علم بمساهمة العرب في الحضارة والتطور البشري، وأنهم كانوا رواد هذه الحضارة الذي يدعي الاستعمار بأنه جاء بها إلينا. إن القارئ الذي يعرف الأمير قد يفاجأ لقراءته للكتاب فيطلع على علم الأمير الذي وسع مجمل المعارف الإنسانية، ويعرف بأنه رجل دين وقد عرف كيف يوفق ما بين الدين والعلم²².

تعتبر هذه الرسالة من أهم مؤلفات الأمير شهرة، جاءت موضوعاتها في مختلف العلوم كالتاريخ والفلسفة والأخلاق. لقد كان الأمير رائداً للنهضة وكافح من أجل تحقيقها وكان مستعداً لبذل كل التضحيات في سبيل تحقيقها، واضعاً بذلك مصلحة الأمة فوق كل اعتبار لأن الحاصل أن الأبعاد الكبيرة التي شهدت حركة الأمير العملاقة، أكدها المستشرق جاك بارك، لم تكن أبعاداً خرافية وإنما كانت أيضاً أبعاد مجتمعة وروح وثقافة وهي ثقافة عربية إسلامية²³.

وأكدوا المستشرق الفرنسي "غوستاف دوغا" من خلال مؤلف الأمير "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" الذي أثبت من خلاله لعلماء أوروبا على مدى غزارة الموروث العربي الإسلامي، وعلى اهتمام الحضارة العربية بالعلم، فكان الأمير رائداً لنهضة عربية إسلامية. إن الاستشراق ساهم في تكوين صورة مختلفة عن الدراسات الإسلامية، ومن غير المستبعد أن يكون هدف المستشرقين من خلال دراسة التاريخ الإسلامي بصفة عامة والتاريخ الجزائري بصفة خاصة، التعرف على حقيقة هذا التاريخ، وفهم الشخصية ومدى ارتباط الجزائريين المسلمين لتاريخهم، ومن ثم يسهل التعرف على مواطن القوة والضعف للتسلل إلى عمق الدراسات الإسلامية.

ركز الاستشراق على دراسة الشخصيات العربية الإسلامية عبر التاريخ للتعرف على الأقطاب الذي أرسو دعائم الدولة الإسلامية، فكان اهتمامهم منصباً على دراسة شخصيات عربية معينة لها أثرها في صناعة التاريخ الإسلامي كشخصية صلاح الدين الأيوبي بطل الحروب الصليبية أقوى شخصية في الشرق، والأمير عبد القادر الجزائري أقوى شخصية إسلامية في الغرب.

إن تقويم الكتابات الاستشراقية التي تناولت هذه الشخصيات العربية الإسلامية، أمر في غاية الأهمية، وفي غاية الصعوبة وهو يدخل في عملية فرز لهذه الدراسات التي انقسمت إلى قسمين المنصفة والمتعصبة، وتدخل في معرفة المنظور الاستشراقي الذي تطرق لهذه



الشخصيات للوصول إلى مساهمة المستشرقين في الدراسات الإسلامية كوسيط استشراقي للولوج إلى فهم الشخصية العربية الإسلامية.

6. قائمة المراجع:

- 1- ابن حلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن حلكان (608م-681) وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: إحسان عباس، ج7، ط1، (لبنان: دار صادر، 1994م).
- 2- الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تحقيق: عمار طالبي، د.ط، (الجزائر: دار القصة، 2005).
- 3- سعد آل حميد، أهداف الاستشراق ووسائله، د.ط، (السعودية: قسم الثقافة الإسلامية، 1993م).
- 4- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، د.ط، (الجزائر: دار الرائد، 2009).
- 6- عبد الحميد صالح حمدان، طبقات المستشرقين، د.ط، (لبنان: مكتبة مدبولي، 2009).
- 7- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، د.ط، (لبنان: دار العلم للملايين، 1993).
- 8- عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، (الجزائر: منشورات حلب، د.ت).
- 9- عبد القادر شرشار، الأمير عبد القادر من منظور آخر، د.ط، (سورية: التراث العربي، 2012).
- 10- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: أمين فارس، د.ط، (الجزائر: الأنيس للنشر والتوزيع، 2012م).
- 11- كامل المهندس، مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية، ط2، (لبنان: مكتبة لبنان، 1984).
- 12- محفوظ سماتي وآخرون، مذكرات الأمير عبد القادر، د.ط، (الجزائر: شركة دار الأمة، 2007).
- 13- محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر (ثقافته وأثره في أدبيه)، د.ط، (الجزائر: وزارة الثقافة، 2007).
- 14- محمد شريف سحلي، الأمير عبد القادر (أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية) تعريب: حبيب شني، (الجزائر: دار القصة للنشر، 2007م).

Boualem Bessaih, L'Emir Abdel-Kader, (Alger: ENEP, 2010), p 139. -15

7. هوامش:

- ¹ - كامل المهندس، مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984، ص82.
- ² - عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، منشورات حلب، الجزائر، ص271.
- ³ - ابن حلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن حلكان (608م-681) وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، ج7، ط1، 1994م، ص337.
- ⁴ - عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، ص7 (منقول عن مقدمة شارل روبر أجبرون).
- ⁵ - المرجع نفسه، ص73.
- ⁶ - محمد شريف سحلي، الأمير عبد القادر (أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية) تعريب: حبيب شني، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007م، ص24.



- ⁷ - شارلز هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر أبو القاسم سعد الله، دار رائد، الجزائر، د.ط، 2009، ص35.
- ⁸ - محفوظ سماتي وآخرون، مذكرات الأمير عبد القادر، شركة دار الأمانة، الجزائر، د.ط، 2007، ص7.
- ⁹ - سعد آل حميد، أهداف الاستشراق ووسائله، قسم الثقافة الإسلامية، السعودية، د.ط، 1993م، ص8.
- ¹⁰ - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: أمين فارس، الأنيس للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2012م، ص578.
- ¹¹ - المرجع نفسه، ص578.
- ¹² - المرجع نفسه، ص579.
- ¹³ - عبد الحميد صالح حمدان، طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي، لبنان، د.ط، 2009، ص42.
- ¹⁴ - محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر (ثقافته وأثره في أدبيه)، وزارة الثقافة، الجزائر، د.ط، 2007، ص104.
- ¹⁵ - الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تحقيق: عمار طالي، دار القصة، الجزائر، د.ط، 2005، ص30.
- ¹⁶ - المرجع نفسه، ص30.
- ¹⁷ - شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، دار رائد، الجزائر، د.ط، 2009، ص51.
- ¹⁸ - Boualem Bessaih, L'Emir Abdel-Kader, ENEP, Alger, 2010, p 139.
- ¹⁹ - عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، لبنان، د.ط، 1993، ص31.
- ²⁰ - عبد القادر شرشار، الأمير عبد القادر من منظور آخر، التراث العربي، سورية، د.ط، 2012، ص180.
- ²¹ - عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، ص274.
- ²² - عبد القادر شرشار، الأمير من منظور آخر، ص281.
- ²³ - عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، ص332.